بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الخامس والعشرون

سورة فصلت

من الآية ٤٧ حتى نهايتها الآية ٥٤

وسور

الشورى - الزخرف -

الدخان - الجاثية

obeikandl.com

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ (٤٧) وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٤٨) ﴾

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ الله وحده هو الذى يعلم متى تقوم الساعة ﴿ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا ﴾ الأكمام هى أوعية الثمرة فلا تخرج إلا بعلمه، كذلك ﴿ مَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ ﴾ إلا بعلمه، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟ ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾ يجيبه المشركون ﴿ قَالُوا آذَنَّاكَ ﴾ أخبرناك وأقررنا لك ﴿ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴾ لا أحد منا يشهد اليوم بأن لك شريكًا، فقد ضل عنهم آلهتهم التى كانوا يدعونها ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ أيقنوا أنهم ما لهم من مهرب.

* * *

﴿ لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١) ﴾

لا يمل الإنسان من طلب الخير، وإن أصابه شر ﴿ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴾ من رحمة ربه، ويئوس وقنوط صيغتا مبالغة من يائس وقانط، والقنوط هو أن يبدو أثر اليأس عليه ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾ هذا حقى أستحقه بمجهودى وعلمى ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ وذلك من ظنه السئ ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ يقول ذلك غرورًا وتكبرًا، فهو يعتبر نفسه مستحقة المراتب الحسنى دائمًا، بصرف النظر عما يعمل، فيجيبه خالقه ﴿ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ وهو فى هذا الكفر من قبيل من ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ﴾ أعرض عن الطاعة، وتكبر على الناس فابتعد عنهم ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾.

* * *

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (٥٤) ﴾

إن كنتم أيها الناس فى شك، وليس عندكم برهان على شككم، فأخبرونى ماذا يكون حالكم عندما تتيقنون أن القرآن من عند الله، هل يكون هناك من هو أضل منكم فى خصامكم البعيد مع الحق؟ ثم يقول خالق الأكوان: سنُرى البشر آياتنا فى الكون، وفى أنفسهم، حتى يتبين لهم أن ما أنزلنا على محمد هو الحق، وهذه الآية سارية حتى يوم الحساب[1] ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ألا تكفى شهادة ربك على كل شىء، ألا إنهم يشكون فى البعث والحساب؛ لأنهم فضلوا حياتهم الدنيا، وأن يجعلوا أهواءهم آلهتهم، وربكم بكلّ أمورهم وأمور الكون محيط.

❊ ❊ ❊

(١) تنبه هذه الآية عقول الناس، وخاصة المسلمين، للبحث المستمر فى آيات الله فى الكون وفى أنفسهم، حتى يتبين لهم الحق، فى كتاب الله المُعاش، وفى كتاب الله المسموع، والذى ستظل إعجازاته تتكشف لأولى الألباب حتى يوم الدين.

openkandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ (١) عٓسٓقٓ (٢) كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥) وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٦) ﴾

﴿ حمٓ (١) عٓسٓقٓ ﴾ ارجع لشرح الحروف المُقَطَّعة فى أول سورة البقرة. بنفس هذه الطريقة التى أوحى الله إليك بها، قد أوحى إلى جميع المرسلين من قبلك ﴿ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ واهب العزة والحكمة ومانعهما ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ خالق السماوات والأرض، ومالكهما، والقائم على أمورهما ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ﴾ تكاد السموات يتشققن من جلال الله وعظمته ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ ﴾ ذلك تقدير ﴿ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ أما الذين ﴿ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ اتخذوا من دونه آلهة أو شركاء ﴿ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ ﴾ حفيظ هى صيغة مبالغة من حافظ، فالله حفيظ على كلّ أقوالهم وأعمالهم، كلّ خائنة أعين وكلّ خطرة قلب ﴿ وَمَا أَنتَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾.

* * *

(*) إلا الآيات ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧ فمدنية.

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ ﴾

أوحينا إليك القرآن ﴿ عَرَبِيًّا ﴾ بلغة العرب؛ لتنذر مكة، ثم جميع ما حول مكة ليكون ميدان البلاغ العالم أجمع شرقًا وغربًا ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ ﴾ تحذر من يوم الحشر؛ حيث يجمع الله الخلائق للحساب ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ لا شك فيه، يوم يساق فريق إلى جنات النعيم بما عملوا فى الدنيا، ويساق آخرون إلى نار جهنم بما ارتكبوا فيها ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ لو أراد الله أن يجعل الناس على دين واحد لفعل ﴿ وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ طبقًا لموازينه فى الرحمة والحق والعدل، وطبقًا لفضله وكرمه ﴿ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ حقيقى ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ قال مخلوف: [بل اتخذوا من دونه أولياء ﴿ أَمْ ﴾ بمعنى بل] والمعنى إنكار فعلهم، وأنه باطل لأن الله ﴿ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

***

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ ﴾ عندما يكون المخاطبون الناس عمومًا ومشركى مكة على وجه الخصوص، فيكون المعنى إن خلافكم معى حكمه إلى الله، يعجل به أو يؤخره ليوم الحساب، وعندما يكون المخاطبون هم المسلمين، كان المعنى إذا اختلفتم فى شىء فردوه إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله، كما بين لكم الكتاب، والسياق يسع كل ذلك، ذلكم هو الله، وهو ربى الذى أتوكل عليه وأرجع له ﴿ فَاطِرُ ﴾ خالق ومبدع ﴿ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ فتقوم حياتكم على الزواج، ومن ثم إنجاب الأولاد، وبناء الأسرة الصغيرة، ثم الكبيرة، وكذلك جعل ﴿ مِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾ تنجب هى الأخرى سلالة تنتفعون بها ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ يكثركم بالزواج ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ذلك التعبير أبلغ وأوكد فى نفى مماثلته جل وعلا ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ له مفاتيح وخزائن ومقادير كلّ ما

فى السماوات والأرض ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ يوسع الأرزاق على من يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ ويقلل على من يشاء ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ جاء فى الحديث القدسى: «إن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلاّ الغنى ولوأفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادى لمن لا يصلحه إلاّ الفقر ولو وسعت له لأفسده ذلك» رواه الطبرانى والبيهقى.

❊❊❊

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)﴾

شرع لكم أن تقيموا دين الله الذى أوحى به إلى محمد، ولا تتفرقوا فيه، وهو نفس ما شرعه لنوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلى الله وسلم عليهم أجمعين: أقيموا دين الله ولا تتفرقوا فيه، ودين الله واحد فى التوحيد، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل والبعث للحساب، وإن اختلفت أحكامه كما بينت سورة المائدة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [٤٨] ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ بسبب تكبرهم ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ طبقًا لموازينه فى الحق والعدل، وطبقًا لرحمته وفضله وكرمه ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ اليهود والنصارى ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ طمعًا فى الدنيا ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ ولولا كلمة ربك لتأجيل القضاء إلى يوم الحساب، لحكم بينهم ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ وإن الذين ورثوا التوراة والإنجيل لفى شك مما ورثوه من كتاب، أومماورثوه من دين ﴿فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ﴾ ادع للتوحيد الذى يجمع الناس ولا يفرقهم، واستقم عليه ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أهواء أهل الكتاب ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾ من جميع الكتب السماوية ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ فلا أظلم أحدًا لصالح آخر ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فربنا واحد لا إله إلا هو الأحد الصمد ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ كلّ منا مسئول عن عمله أمام الله وحده، وهو الذى سيحاسبنا جميعًا ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ لا حجة بقيت بيننا وبينكم ولا جدال ولا خصومة، الله سيجمع ﴿بَيْنَنَا﴾ وبينكم ﴿وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

❊❊❊

﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧) يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨) ﴾

الذين يجادلون فى دين الله ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ ﴾ بعد ما ظهر واستجاب له المسلمون ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ باطلة وزائلة، وغضب الله عليهم، ولهم عذاب شديد ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ أنزل الله الكتاب حقّا ليبين للناس الحق والعدل ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ فيتحقق وعد الله ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ تحديًا وسخرية واستهزاءً ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ خوفًا من حسابهم، فهم ﴿ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ أما ﴿ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ يجادلون متشككين فيها حتى لا يكبحوا أهواءهم ﴿ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ .

* * *

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢) ﴾

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ طلب منهم أن يعبدوه ولا يشركوا به أحدًا، وخلق فى فطراتهم ومداركهم ما يهديهم لذلك، فمن فعل ذلك بضع عشرات من السنين، جزاه جنة الخلد، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وبين لهم أن بيده وحده آجالهم وأرزاقهم وهدايتهم وعزهم فى الدنيا. ويحاسبهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويزيد، والسيئة بمثلها إلا أن يعفو، وهو يعفو عن كثير، وجاء فى الحديث القدسى «يا ابن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة» رواه الترمذى، وجاء «إذا تقرب عبدى منى شبرًا تقربت منه ذراعًا، وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة» رواه البخارى ومسلم ﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ وفق حكمته ﴿ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ من كان يريد ثواب الآخرة نضاعف له جزاءه على عمله ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴾ جاء فى الحديث «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه

شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له» رواه الترمذى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ أم أن هؤلاء المتكالبين على الدنيا لهم شركاء وضعوا لهم من الدين ما لم يأمر به الله؟! ولولا وعد سابق من الله بتأخير الفصل إلى يوم الحساب لحكم الله بين المؤمنين والكافرين والمشركين فى الدنيا ولعوجلوا بالعقوبة ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يوم الحساب، وفيه ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا﴾ خائفين وجلين مما ارتكبوا فى الدنيا من معاص توجب العذاب الأليم ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ لا مفر، أما ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

***

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥) وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦)﴾

تلك الجنات، والطلبات المستجابة هى ما يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، قل يا محمد للناس ﴿لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ إلاّ أن تودوا أقاربى وتصلوا رحمى، ويقول المسلمون فى التشهد: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم. ولكن للأسف وللخزى وللعار، قاتل بعض المسلمين عليّا الخليفة الشرعى، واغتاله أحدهم، ثم سموا الحسن، وقتلوا الحسين فى إحدى فظائع الأمويين، وقتلوا معه عشرات من أهل البيت، واستمر قمع وقتل أحفاد النبى (ﷺ) حوالى ثلاثة قرون متواصلة على يد حكام الأمويين ثم حكام العباسيين ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ومن يعمل حسنة يضاعف له الله فى الجزاء إلى سبعمائة ضعف أو أكثر، والله واسع المغفرة شاكر لعباده اهتداءهم ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بل يقولون على محمد إنه يختلق على الله ويلفق كذبًا، فإن كان ذلك كذلك لختم وربط الله على قلبك، إنما ﴿يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ بإنزال الوحى والقرآن عليك ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ قال محمد الغزالى: [وعاد الوحى مرة أخرى يحكى أقاويل خصوم الإسلام وخصوم محمد ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أى لو كان محمد كاذبًا ما تركه الله يفترى عليه وينسب إليه هذا الدين الخطير، بل لسلبه العقل، ومحا ما ادّعاه! وهذا مثل قوله تعالى فى سورة أخرى ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]. ولكن الإسلام استبحر وشق طريقه حتى بلغ ما بلغ الليل والنهار. ولا يزال الأذان فى كل قطر يشهد لله بالوحدة ولمحمد بالصدق، كأنه ساعة تحصى الزمان لا يتوقف لها دقٌّ. ولقد كذب على الله بعض الناس وزوَّروا عليه وحيًا مضحكًا، فماذا كان مصيرهم؟ لقد امّحى أثرهم وانقضى زيفهم، وبقى الخلود للحق وحده. يصنع الإسلام من أفراد الأمة ربّانيين يجعلون الله غايتهم ورضوانه أملهم والاستعداد للقائه شغلهم!]. ويقبل الله توبة التائبين، ويعفو عن السيئات إلا أن يُشرك به، ويعلم كل ما تفعلون، ويستجيب لربهم الذين آمنوا ويعملون الصالحات، و﴿يَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ أما الكافرون، فلهم ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

***

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧) وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (٣٠) وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١)﴾

لو وسع الله على عباده فى الرزق لطغوا وانغمسوا فى أهوائهم ونسوا الله؛ ولذلك يرزقهم بقدر، فهو ﴿بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ وهو وحده الذى ينزل المطر ليغيثهم من بعد ما يئسوا من نزول المطر واخضرار الأرض ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ على العالمين؛ لأنه هو ﴿الْوَلِيُّ﴾ الذى يتولى أمور عباده ﴿الْحَمِيدُ﴾ المستحق للحمد، ومن آيات قدرته الداعية لتوحيده خلق السماوات والأرض، وما يدب على الأرض من مخلوقات، وكلهم راجعون لخالقهم ومولاهم الحق فى الآخرة ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ فى أموالكم أو أنفسكم ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من المعاصى والآثام ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ فهو يغفر الذنوب جميعًا إلا أن يُشرك به ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ولن تستطيعوا الإفلات من الله، و﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

***

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٣٥) فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) ﴾

ومن دلائل الله ﴿ الْجَوَارِ ﴾ السفن الجارية ﴿ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلامِ ﴾ كالجبال، وجدير بالذكر أنه لم يكن هناك فى وقت التنزيل سفن ضخمة كالجبال ﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ ﴾ إذا أراد الله أوقف تحرك الرياح ﴿ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ ﴾ فتظل السفن ثابتة وساكنة لا تتحرك على ظهر الماء ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ﴾ لعبر وعظات ﴿ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ولعل أحدنا يقول: لقد مضى عهد السفن الشراعية، وأصبحت السفن الآن تتحرك بدفع محركات الاحتراق الداخلى أو حتى المحركات النووية، فربما تكون الإجابة عليه من عدة أوجه، أولها أن الخطاب كان لناس عصر النبوة، فجاء على قدر معارفهم، وفى الوقت نفسه يناسب ناس محركات الاحتراق الداخلى والمحركات النووية؛ لأنهم يعرفون أنها تعمل بقوانين محكمة، لولاها ما عملت، فتلك القوانين المحكمة هى نظير قوانين حركة الرياح ودفعها للسفن، ومن وجه ثان، يمكن الإجابة بأن ﴿ يُسْكِنِ الرِّيحَ ﴾ يمكن فهمها أنه لو أراد الله لجعل قوانين الهواء والموائع والسوائل مختلفة، فلن تعمل محركات الاحتراق الداخلى ولا التوربينات ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ ﴾ يهلكهن بالغرق بما ارتكبوا من المعاصى والآثام ﴿ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴾ وإن يشأ الله عفا عن الذنوب ﴿ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴾ ويعلم من يخاصمون ويعاندون فى آيات الله، أنه ما لهم مهرب يخلصهم من العذاب، وكلّ متع الدنيا من مال وجاه وولد مصيرها الزوال، والعاقل هو الذى يعمل للآخرة التى هى خير وأبقى ﴿ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ والمؤمنون الذين يجتنبون فعل الكبائر من الذنوب كقول الزور والرشوة والزنا والقتل ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا ﴾ لإساءة وجهت إليهم، يغفرون ويسامحون ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ ﴾ فى كلّ ما أمر به ونهى عنه ﴿ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ ﴾ فى أوقاتها، بإتمام أركانها، والانتهاء عما نهت عنه، وعمل ما أمرت به، وبذكر الله بطاعته فى كلّ قول وعمل ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ فالشورى أساس الحكم فى الإسلام، وهى من صفات المؤمنين، وقد جسدها خاتم النبيين (ﷺ) فى حياته، وهو الذى

ينزل عليه وحى السماء، وهو الذى آتاه الله الحكمة[1] ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ فى سبيل الله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ ﴾ وقع عليهم الظلم ﴿ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ على من بغى عليهم، ويقاومون العدوان ولا يضعفون فى طلب الحق.

* * *

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ(٤٣) ﴾

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ يجب أن ترد السيئة بسيئة مثلها لا أكثر ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ ﴾ فمن صالح الطرف المعتدى كبحًا للعداوات ﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ فثوابه محفوظ عند ربه ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ إن الله لا يحب المتجاوزين فى الانتقام ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ ولمن اقتص لنفسه بعد ما وقع عليه ظلم المعتدين أولاً ﴿ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ لا إثم عليهم ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ﴾ يبدأون بالعدوان أو يبالغون فى الانتقام ﴿ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ يفسدون فى الأرض بالباطل ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ونلاحظ فى الآيات السابقة أنها بينت أن من صفات المؤمنين أنهم ﴿ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾، ثم بينت أنه ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾، ثم قالت ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ فالآية الأولى تجعل الانتصار على من ظلم من صفات المؤمنين، والآية الثانية تتحدث عن مرتبة أعلى من المؤمنين، الذين يعفون ويُصلحون بينهم وبين من اعتدى عليهم، ولذلك أصبح ﴿ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ وليس موقوفًا ومحدودًا على عملهم، والآية الأخيرة تبين أن حوادث الدنيا لم ولا ولن تخلو من ظلم الناس لبعضهم البعض، بل وظلم الخلطاء لبعضهم البعض، فمن صبر وغفر فأجره على الله. وهناك وجه لاختيار الانتصار أو العفو، فالعفو الذى يزيد المعتدى عدوانًا وظلمًا إنما هو تفريط، والانتصار الذى يقلب الصديق أو الشقيق عدوّا ليس بانتصار بل هو فرقة وهزيمة.

* * *

(١) حتى فى خضَم الحرب والقتال، كان (ﷺ) يستشير أصحابه، حدث ذلك فى غزوة بدر، وغزوة أحد، ويوم الأحزاب، يوم اجتمعت قبائل العرب مع يهود بنى النضير، وخانت بنو قريظة ميثاقها من خلفهم داخل المدينة، وبدأ النبى (ﷺ) فى مفاوضة غطفان على جزء من ثمار المدينة ليرجعوا عن الحصار، ثم عرض الأمر على سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما، فرفضا الأمر، فنزل خاتم النبيين (ﷺ)، ذو الحكمة الواسعة والبصيرة النافذة إلى رأيهما، وقطع المفاوضات. وقالت عائشة وأبو هريرة رضى الله عنهما، إنه لم يكن هناك من هو أكثر تشاورًا من محمد (ﷺ) مع أصحابه.
انظر يا أخى القارئ لبعض الحكام اليوم الذين ليس أسوأ من جهلهم إلا استبدادهم!.

﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ (٤٤) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (٤٥) وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ (٤٦) ﴾

﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ ﴾ لتكبره وجحوده، فلن يتولاه أحد ليهديه ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴾ ألا توجد طريقة نعود بها إلى الدنيا لنعمل صالحًا؟! ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا ﴾ على النار ﴿ خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ﴾ منكسرين من فرط الهوان ﴿ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ يسرقون النظرة تلو النظرة من شدة الهول، بينما يقول ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ ﴾ إذا كان هؤلاء الأهل اتبعوا ضلالهم في الدنيا، وإذا كانوا آمنوا وعملوا الصالحات، فلن يصيروا أهلاً لهم في الآخرة ﴿ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ خالد ﴿ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ لا نصراء لهم ﴿ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴾.

***

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ (٤٧) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ (٤٨) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ (٤٨) لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) ﴾

﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم ﴾ سارعوا إلى الإيمان بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، واعملوا صالحًا ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾ وهو يوم الحساب ﴿ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ ﴾ ليس هناك ملجأ تفرون إليه من الله ﴿ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ لا تملكون إنكار ما فعلتم، أو لا تملكون استنكار ما يُفعل بكم ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا ﴾ عن دعوتك يا محمد ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ فبلغ رسالتك ولست مسئولاً عما يفعلون، واعلم أنت والسامعون ﴿ إِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ

﴿الإنسَانَ كَفُورٌ﴾ هذا ما يفعله كثير من البشر، يفرح ويطغى إذا مسه الخير، ويقول إنما أوتيته على علم، ويُصاب باليأس وكفر النعمة إذا أصابته سيئة بما قدمت يداه ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ يهب لمن يشاء ذرية من الإناث، ولمن يشاء ذرية من الذكور، ومنهم من يهب له الله الذكور والإناث ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا ينجب ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يصلح البشر ﴿قَدِيرٌ﴾ على كل شيء.

* * *

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١) وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ (٥٣)﴾

ما كان لبشر أن يتحمل أن يكلمه الله إلا وحيًا ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كما كلم الله موسى (ﷺ) تكليمًا في جبل الطور دون أن يراه ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ من ملائكته كجبريل ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ فيوحي بأمر الله ما يشاء ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ﴾ علو قدرة وعلو ذات، وليس علو مكان ﴿حَكِيمٌ﴾ واهب الحكمة ومانعها ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ بالكتاب والحكمة ﴿مَا كُنتَ﴾ قبل هذا الوحيّ ﴿تَدْرِي مَا الْكِتَابُ﴾ كتاب الله، ويشمل التوراة والزبور والإنجيل والقرآن ﴿وَلا الإِيمَانُ﴾ ما هو ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ ما أوحيناه إليك ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ وفقًا لموازينه الحق، ورحمته وفضله وكرمه ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الطريق المستقيم لله سبحانه وتعالى ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ وإليه ترجع كل الأمور.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤) أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ (٥) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨) ﴾

﴿ حمٓ (١) ﴾ ارجع لشرح الحروف المُقَطَّعة فى أول سورة البقرة. يقسم رب العالمين بالقرآن الذى يبين للناس الطريق المستقيم لله رب العالمين ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ قال محمد الغزالى: [تكرار عروبة القرآن توكيد للرسالة التى حملها العرب، وهم فى هذا العصر فقراء إلى هذا التوكيد، فقد نبتت فيهم نابتة تحسب أن العرب أغنياء عن الإسلام! ويوم يستغنى العرب عن القرآن فسيكونون أذل شعوب العالم! إن هذا القرآن عالى المكانة ملىء بالحكمة، وليس له فى العلم الإلهى نظير، على أن الأمم التى كفرت بالوحى خسرت دنياها وأخراها معًا، ولن يكون العرب خيرًا منها مآلا] ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ ﴾ اللوح المحفوظ أو العلم الأزلى عند الله ﴿ لَعَلِيٌّ ﴾ القدر ﴿ حَكِيمٌ ﴾ فى إبلاغ العالمين رسالة رب العالمين، وكيف لا وهو كلمة العزيز الحكيم[1] ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا

(*) إلا الآية ٤٥ فمدنية.

(١) كثيرًا ما طعن المستشرقون وآباء الكنيسة فى الإسلام قائلين إنه دين نص، وحضارة الإسلام إنها حضارة نص، يريدون أن يقولوا إنه دين جامد، وحضارة جامدة، وللأسف ردد بعض «المستغربين!» أقوالهم وأصداء ما يدّعون! =

﴿مُسْرِفِينَ﴾ تعددت أقوال المفسرين فيها، ذكر ابن كثير منها قول ابن عباس ومجاهد والسدى، وذلك اختيار الطبرى [أتحسبون أن نصفح عنكم فلا نعذبكم و(أنتم) لم تفعلوا ما أمرتم به] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى الْأَوَّلِينَ﴾ وكثيراً ما أرسلنا الأنبياء فى الأمم السابقة ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كلما أرسلنا فيهم رسولاً استهزءوا به وأعرضوا عنه ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ فأهلكنا من كانوا أكثر قوة ومنعة من قريش ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ وانتهوا ليكونوا عبرة لغيرهم وأحاديث تُروى، فاعتبروا يا أهل مكة.

***

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤)﴾

ولو سألت المشركين ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ لأجابوك ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ فأضف لجوابهم الصحيح مذكراً لهم ﴿الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ ممهدة سهلة للإقامة ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ للتنقل ونقل التجارات، أو سبلاً أعم من ذلك فتشمل كلّ أوجه نشاطكم، كلّ ذلك ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى أن خالقكم هو أيضًا ربكم الذى عليكم أن تتبعوا سبيله ﴿وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بقدر ما تحتاجونه أنتم وأنعامكم وزرعكم ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ فأحيينا بهذا الماء الأرض الجدباء التى لا زرع فيها ولا ماء ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ بنفس هذه القدرة تبعثون من قبوركم ﴿وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ هو الذى

= فالقرآن نص حفظه الله، وحفظته قلوب المسلمين منذ نزوله، وحتى اليوم، وإلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وأولئك الحفظة يعيشون من ماليزيا وإندونيسيا شرقًا، إلى الأمريكات غربًا، ومن شمال أوروبا وآسيا إلى جنوب إفريقيا، شاهدين على ذلك، يتلون القرآن كلمة كلمة وحرفًا حرفًا بلا خلاف. وعقدة القائلين فى الفقرة الأولى من الهامش أنهم أضاعوا كتبهم الأصلية من توراة لإنجيل. وعقدتهم الثانية، أنهم لما وجدوا ما تحت إيديهم من نصوص لا تقنع المتساءلين، ولا تطمئن قلوب الساعين إلى الله، فبدأوا فى تأويلات غير محدودة للنصوص، وبدأوا فى إضافة نصوص، وحذف نصوص، والتركيز على نصوص، وغض الطرف عن نصوص ـ يمكن لمن أراد الاستزادة الرجوع لكتاب كارين أرمسترونج «*تاريخ الكتاب المقدس*»من إصدارات مكتبة الشروق الدولية ـ وبدأوا يقولون إنه لا يمكن حصر كلمة الله فى ورقة أو أوراق، وهم لديهم كلمة الله، فعلى اليهود والمسيحيين السماع لكلمة الله منهم، وكأنهم يقولون إنهم يستطيعون ويعرفون أن يقولوا ما لم يستطع ولا يعرف الله قوله!

خلق الذكر والأنثى فى الإنسان والحيوان ،والطيور ،الأسماك، والزروع وغيرها مما نعلم ومما لا نعلم ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ فى أسفاركم وتجارتكم وغير ذلكم ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا ﴾ فإذا استويتم فوق ظهور الفلك وعلى الأنعام، وفى هذه الأيام ركبتم السيارات أو القطارات أو الطائرات، فنزهوا ربكم عن الشريك، واحمدوه أن سخر لكم هذه النعم بما حباكم من إمكانيات، وبما سن من قوانين الطبيعة ما أتاح لكم صناعاتكم وطرق حياتكم المتجددة ﴿ وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ مطيقين، وقيل وما كنا جاعلين له قرناء، شركاء أو غيرهم ﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ .

❊ ❊ ❊

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ (١٦) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ (٢٠) ﴾

قال قتادة: ﴿ جُزْءًا ﴾ أى عدلاً، يعنى ما عُبد من دون الله، وقال بعضهم: وجعلوا لله نصيبًا من الحرث والأنعام يأخذه من عباده ـ كما جاء فى سورة الأنعام ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ ﴾ [١٣٦] ـ ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴾ وهو تهكم على زعمهم ذلك، وقد كانوا ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ بما نسبوه إلى الله من البنات ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ اغتم وكظم غيظه وغمه ﴿ أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ أو قد جاءه من يتربى وينشأ فى الزينة والدعة، وليس بقادر على نصرته فى القتال؟ ـ ويحتمل أن يعود التخيير على الآية الأولى ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ فيكون المعنى أو جعلوا لله نصيبًا من البنات، هن الملائكة، رغم أنهم لا يرغبون فى البنات لأنهن لا يفدن فى الخصام والقتال، وهو سؤال استنكارى وتهكمى ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾؟! هل شهدوا خلقهم؟ سنسجل شهادتهم، ثم نسألهم فى الآخرة ﴿ وَقَالُوا ﴾ عُباد الملائكة ﴿ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ لو أراد الله ألاّ نعبد الملائكة لحكم بذلك ﴿ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ إنما هم كاذبون مُدَّعون .

❊ ❊ ❊

﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾

أم آتيناهم قبل القرآن كتابًا سماويّا فهم يتمسكون بما فيه، بل قالوا مثلما قالت القرى الظالمة لمن أرسلهم الله لينذروهم: وجدنا آباءنا على دين وتقاليد ونحن نقتدى بآثارهم ﴿قَالَ﴾ النذير ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ ردوا قائلين ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ رافضون ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ على تكبرهم وجحودهم ﴿فَانظُرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

***

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾

تبرأ أبو الأنبياء إبراهيم (ﷺ) مما يعبد أبوه وقومه ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ أبدعنى وخلقنى ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ إلى الدين الحق ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ ووصى ذريته بعبادة الله وحده، أى كلمة التوحيد ـ كما جاء فى سورة البقرة ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [١٣٢] ـ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى التوحيد وطاعة الله، والضمير يعود على أهل مكة وأمثالهم من ذرية إبراهيم ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ برغم شركهم، رزقتهم بمتع الحياة حتى أنزلت لهم القرآن وأرسلت فيهم محمدًا بدعوة الحق المبين ﴿قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ وتحججوا قائلين ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ لو أن الله أنزل هذا القرآن على رجل من مكة أو الطائف غنى قوى ذى جاه لآمنا ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾

على أيّ أساس وبأيّ منطق وسلطان يتدخلون فى رحمة ربك؟! ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ نحن الذين نقسم الأرزاق بحكمتنا وبقدرتنا، ونرفع أقوامًا فوق أقوام ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ ليستخدم بعضهم بعضًا ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من حطام الدنيا الفانى. قال: محمد الغزالى: [إن تفاوت مكانة الناس فى وظائف الدنيا لازم فى ميادين الصناعة والزراعة وغيرهما، على أن ما يظفر به البعض من متاع الدنيا لا دلالة فيه على خير، فقد يبسط الله الرزق لقوم هم حطب جهنم! ويبتلى بالعبودية أمثال عمار بن ياسر وبلال بن رباح وهم من ملوك الجنة، وقد عانوا بلاء شديدًا فى الحياة الدنيا].

***

﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)﴾

قال ابن كثير: [لولا أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه، فيجتمعوا على الكفر لأجل المال. هذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدى وغيرهم] ﴿مَعَارِجَ﴾ سلالم ﴿سُرُرًا﴾ أسرة ﴿يَتَّكِئُونَ﴾ يستندون ﴿وَزُخْرُفًا﴾ زخارف وزينات مبهجة ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

***

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٣٧) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ (٣٨) وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٩)﴾

ومن يتغافل ويتعامى عن ذكر الله نرسل له شيطانًا من الإنس أو الجن ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ مصاحب ملاصق ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ شياطين الإنس والجن ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ عن الطريق القويم، ويظن هؤلاء الغافلون عن ذكر الله أنهم مهتدون إلى الخير ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ يوم الحساب ﴿قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ﴾ قال للذى يصده عن سبيل الله ﴿بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ ما بين المشرق والغرب، وقيل المشرقين تغليبًا، كما نقول الأبوان، وكما نقول كيف حال الأولاد وقد

يكونون كلهم بنات، ويمكن القول بأن المقصود فعليّا المشرقان، فمشرق الشمس يختلف مع أيام السنة، وكذلك فإن مشرق الشمس فى مكان على الأرض يعنى مغربها فى مكان آخر، وأقصى مسافة على سطح الأرض بعد المسافة بين مشرقها فى بقعة ما، ومشرقها فى البقعة الواقعة على الطرف المقابل، ويصل بينهما قطر الكرة الأرضية ﴿فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ لقد كنت لى بئس الصاحب ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

* * *

﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِى الْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٠) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ (٤١) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ (٤٢) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٤) وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾

﴿أَفَأَنتَ﴾ يا محمد تستطيع أن ﴿تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ من أصم نفسه عن سماع الحق المبين ﴿أَوْ تَهْدِى الْعُمْىَ﴾ الذين أعموا قلوبهم وبصائرهم، وقد اختاروا طريق الضلال المبين؟ ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ فإما تمت قبل أن ترى انتقام الله منهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ إن عاجلاً أوآجلاً ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ أو نريك انتقامنا منهم بقدرتنا عليهم ﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾ تمسك، واستمسك أبلغ فى الفعل ﴿بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ صراط الذى له ما فى السماوات والأرض ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ وإنه لتذكير لك ولقومك، بالله، ولماذا خلقكم؟ وماذا يريده منكم؟ ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عن حمل الرسالة لبقية العالم ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ انظر فى الشرائع السماوية السابقة ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ والسؤال تقرير للوحدانية التى قالت بها كل الرسل.

* * *

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧) وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٨) وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٤٩) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ (٥٠)﴾

أرسل الله موسى (ﷺ) بالبينات إلى فرعون وبطانته، فبدلاً من أن يؤمنوا ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ يسخرون ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ﴾ حجة ﴿إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أعظم من سابقتها ﴿وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ﴾ من الطوفان والجراد والقمل وغيرها ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن ضلالهم، وكلما وقعوا في نوع من العذاب الشديد لجؤوا إلى موسى قائلين ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ وقولهم ﴿رَبَّكَ﴾ اعتراف منهم بقدرة رب موسى، وقولهم ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بما ولاّك وفوضك، فهم إذًا يعترفون بقدرة رب موسى (ﷺ)، ويعترفون بأنه أرسل موسى (ﷺ)، ومع ذلك لا يؤمنون، استكبارًا وجحودًا ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ينقلبون على أعقابهم وينقضون عهدهم مع موسى (ﷺ).

***

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ (٥٦)﴾

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ قومه تعنى هنا من تبعه من أهله وبطانته وجنده، ومن الشعب، فليس كل الشعب كما تُبيِّن الآية التالية ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لأنه لم يغرق كلّ شعب مصر ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قد كان لفرعون ملك مصر، ولكن هذا لا يعني الموافقة على ما يدعو إليه وما يدعيه لشخصه الجاهل المستبد ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ فليس رسول الله موسى (ﷺ) بمهين، حتى لو كان في كلامه غير مبين، وليس فرعون بعظيم حتى لو كان ملك مصر، ولا هو خير من رسول رب العالمين، بل هو من الملعونين إلى يوم الدين ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ يتقمص فرعون، الخاوى من كل إيمان، والبرىء من كل علم، شخصية المجتهد المدقق فيقول: لماذا لا يجيء موسى بإسورة من السماء تثبت أنه رسول؟ ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ يؤيدونه ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ استخف فرعون بعقول قومه فأطاعوه انتهازية ونفاقًا وانحطاطًا، واستخف تعنى أيضًا دعا إلى الجهل والسفه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ وهل هناك أفسق ممن يتبع فرعون اللعين ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ فلما أغضبونا بفسقهم ﴿انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ فأغرق الله فرعون ومن

تبعه، وجعلهم قدوة لمن يعمل عملهم ﴿وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ﴾ عبرة لمن يأتى بعدهم إلى يوم الدين.

* * *

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٧) وَقَالُوا آَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٨) إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٢)﴾

رُوى أن عبد الله بن الزبعرى قبل إسلامه قال للنبى (ﷺ) وقد سمعه يقرأ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: أليست النصارى يعبدون المسيح، وأنت تقول كان نبيًّا، فإن كان فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتُنا معه! فضحك كفار قريش، وارتفعت أصواتهم؛ وذلك قولُه تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ يضجُّون ويصيحون فرحًا ﴿وَقَالُوا آَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ فإذا كان هو فى النار فلنكن نحن وآلهتُنا معه. وقد أبطل الله قولهم بقوله ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً﴾ أى لأجل الجدل بالباطل، لا لطلب الحق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ بل هم شديدو الخصومة، مجبولون على اللجاج فى الباطل. جمعُ خَصِم ـ بفتح فكسر ـ وهو المجادل. ما عيسى ﴿إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالرسالة، وآتيناه الكتاب والحكمة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ حتى يتبعوه ويتركوا أحبارهم الذين أضلوهم ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ قيل الملائكة منكم، وقيل ملائكة بدلاً منكم، والقول الثانى أرجح، فيكون المعنى لو شئنا لذهبنا بكم وجعلنا ملائكة يخلفونكم على الأرض ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ وإن نزول عيسى لعلامة على قيام الساعة ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ فلا تشكوا فى قيامها ﴿وَاتَّبِعُونِ﴾ فاتبعوا هداى ورسولى ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يؤدى إلى الفوز فى الدنيا والآخرة، ولا يصدكم الشيطان عن هذا الطريق القويم واعلموا ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

* * *

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦٤) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٦٥) هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧)﴾

جاء عيسى (عليه السلام) بالبينات لبنى إسرائيل، وأخبرهم أنه جاءهم بالحكمة، وليهديهم فيما اختلفوا فيه، وقال لهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٣) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ومن العجب أنه بعد كلّ معجزات عيسى (عليه السلام)، اختلف بنو إسرائيل فيه فى حياته، واختلفوا فيه بعد مماته[1]، وقليل منهم آمنوا بأنه بشر رسول من عند الله يدعو لله الواحد الأحد ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ الويل للذين زيفوا على عيسى (عليه السلام) الأباطيل ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ لأنهم منهمكون فى ضلالهم ﴿الأَخِلاَّءُ﴾ الجماعات والأحباب والأحزاب ﴿يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ فالذين اجتمعوا وتوادوا على باطل سينقلبون فى الآخرة إلى أعداء شديدى الخصومة. . أما الأصحاب الذين اجتمعوا على تقوى الله ورضوانه والعمل الصالح، فهم أحباب فى الدنيا والآخرة.

***

﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)﴾

يخاطب الله المتقين قائلاً ﴿يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ لأنكم آمنتم ﴿بِآيَاتِنَا﴾ وبكتبنا ورسلنا واليوم الآخر وكنتم ممن أسلم وجهه لله ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ إن كان أزواجكم آمنوا وعملوا الصالحات مثلكم، أو مثلكن، أو أزواج من أهل الجنة ﴿تُحْبَرُونَ﴾ وأنتم فى حالة من السعادة والرضا والسرور، تأكلون أشهى الطعام وتشربون ألذ الشراب، فى أجمل الصحاف والأكواب ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لقد استحققتم هذا النعيم بحسن أعمالكم فى الدنيا، و﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وجاء فى الحديث «أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» رواه البخارى.

***

(١) فمنهم من ظل رافضًا له، ويعتبره دجالاً ابن زنا ـ ونستغفر الله على نقل ذلك القول عن أحد الرسل ذوى العزم (عليه السلام)، وابن مريم الطاهرة ـ ومنهم من اعتبره ابن الله، وآخرون اعتبروه الله تجسد فى صورة بشر، كما تقص أساطير الأديان القديمة فى الشرق بصفة عامة، وبصفة خاصة فى الحضارات المصرية والإغريقية والرومانية القديمة عن الملوك والحكام الذين أصبحوا أبناء آلهة أو آلهة.

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٧٩) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠) ﴾

أما المجرمون، فهم خالدون فى عذاب جهنم الذى لا تضعف شدته، وهم ﴿ مُبْلِسُونَ ﴾ يائسون من حالهم ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴾ لأنفسهم بالكفر والشرك ﴿ وَنَادَوْا ﴾ على خازن جهنم ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ ليمتنا ربك حتى نستريح ﴿ قَالَ ﴾ مالك ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾ أى مقيمون فيها أبدًا ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ ﴾ لقد أرسلنا إليكم الرسل وأنزلنا عليكم الكتب ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ فكذبتم واتبعتم أهواءكم ﴿ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾ أم كان الكافرون يظنون أنهم يدبرون أمرًا ينجيهم من يوم الحساب؟ فالله هو المدبر، وهو غالب على أمره، أم كانوا يحسبون أننا لا نسمع إسرارهم ومناجاتهم، بلى لقد كانت رسلنا تدون كل ما تقولون.

* * *

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٣) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٤) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٥) ﴾

قل يا محمد للكفار إن جاز أن يكون للرحمن ولدٌ، فأنا أول من يعبده ﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ تنزه الله عما يقولون، فاتركهم يا محمد ﴿ يَخُوضُوا ﴾ فى أباطيلهم ﴿ وَيَلْعَبُوا ﴾ ويلهوا ﴿ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾ وهو يوم الحساب ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ لا إله إلا هو ﴿ وَهُوَ الْحَكِيمُ ﴾ واهب الحكمة ومانعها ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ الذى لا تخفى عليه خافية ﴿ وَتَبَارَكَ ﴾ كثر وتعاظم خيره ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ لا يعلم وقتها إلاّ هو ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾.

* * *

﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٦) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٧) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ (٨٨) فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩) ﴾

ولا تملك آلهتهم التى يعبدونها من دون الله أن تشفع لهم ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ ﴾ إلا من شهد بالتوحيد وعَلِم أن لا إله إلا الله، مثلما شهد عيسى (عليه السلام)، ومثلما شهدت الملائكة ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ فكيف يعبدون غيره؟ ﴿ وَقِيلِهِ ﴾ وقول محمد شاكيًا إلى ربه ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ فيقول تعالى له ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ﴾ بينى وبينكم ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ عاقبة الظالمين، وعاقبة المؤمنين.

* * *

obeikandl.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤) أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٥) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٧) لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٨) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (٩) ﴾

﴿ حمٓ (١) ﴾ ارجع لشرح الحروف المُقَطَّعة فى أول سورة البقرة. يقسم رب العالمين بالقرآن الذى يبين للناس الطريق المستقيم لله رب العالمين ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ بدأنا إنزاله على محمد فى ليلة مباركة، هى ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ الناس ليرجعوا إلى عبادة ربهم الواحد الأحد ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ فيها يُفرق بين الهدى والضلال، وبين الحلال والحرام ﴿ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ كان ذلك أمرًا من عندنا، إنا مرسلون ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ بالعباد من الله ﴿ السَّمِيعُ ﴾ لدعاء العباد ولكل الأقوال والأصوات ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بأحوال عباده وبما يصلحهم وأحوال الكون كله وكيف يقيمه ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ إن كنتم موقنين بأن الله هو خالق السماوات والأرض فهو أيضًا رب السماوات والأرض ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وحده لا شريك له ﴿ يُحْيِي ﴾ من العدم ﴿ وَيُمِيتُ ﴾ بقدرته ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ منذ خلق آدم إلى قيام الساعة، ولكن المشركين ﴿ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ لاهون فى متع الدنيا.

* * *

(*) إلا الآية ١٥ فمدنية فى بعض الأقوال.

﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٢) أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ (١٣) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ (١٤) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٥) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ (١٦) ﴾

﴿ فَارْتَقِبْ ﴾ يا محمد ﴿ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ قال أكثر المفسرين، نقلاً عن حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) في البخاري أن رسول الله (ﷺ) دعا الله أن يعينه على قريش بسبع (سبع سنين) كسبع يوسف، فقلت الأمطار حتى بدا في السماء دخان من الجفاف، وربما أرسل الله دخانًا غشاهم كما رفع الطور فوق بني إسرائيل، ولما تغشاهم الدخان وأفسد حياتهم وجعلها عسرًا، دعوا الله أن يكشف عنهم عذاب الدخان، وقالوا إنا مؤمنون ﴿ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ ﴾ كيف يتذكرون الله وقد قالوا عن رسوله ﴿ مُعَلَّمٌ ﴾ يعلمه بشر، وقالوا عنه مجنون، وأعرضوا عن رسالته ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً ﴾ ولكنكم ﴿ عَائِدُونَ ﴾ إلى ضلالكم فانتظروا ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ ﴾ عند قيام الساعة ﴿ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ من الكفار والمشركين والمنافقين.

***

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٧) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٨) وَأَن لاَّ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٩) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ (٢٠) وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ (٢١) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ (٢٢) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ (٢٣) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ (٢٤) ﴾

وضربت الآيات لهم مثلاً بقوم فرعون؛ إذ جاءهم موسى (ﷺ) رسولاً كريمًا ﴿ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ﴾ أدوا واجبكم لرب العالمين، ولا تتكبروا على الله، وقد أتيتكم منه بحجة مبينة، وإني أعوذ بربي وربكم أن ﴿ تَرْجُمُونِ ﴾ تهلكون، وإن لم تؤمنوا لي فاتركوني وبني إسرائيل. فلما رفض فرعون وبطانته ذلك، برغم بينات موسى (ﷺ) دعا موسى ربه ﴿ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴾ ـ وجاء في سورة يونس قوله: ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾ [٨٨] ـ فأمر الله موسى أن يخرج بمن آمن معه ليلاً، وأعلمه أن فرعون ومن معه سيتبعونهم، وطمأنه بأنهم سيعبرون البحر، ويتركونه من ورائهم ﴿ رَهْوًا ﴾ ساكنًا، حتى إذا تبعهم فرعون ومن معه، أطبق الله عليهم البحر فغرقوا جميعًا.

***

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٨) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ (٢٩) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ (٣١) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ (٣٣) ﴾

جحد فرعون ومن معه نعم الله عليهم: يعيشون حياة طيبة فى جنات وعيون وزروع ومقام كريم، وأورثها الله لمن جاء خلفًا لذلك الفرعون اللعين، وبطانته من المنافقين والانتهازيين، فما حزن لهم أحد فى السماء، ولا أحد فى الأرض، وما أخرهم ربهم عن أجلهم الموعود. وفى المقابل، نجّى الله بنى إسرائيل من عذاب فرعون المهين، إنه كان متكبراً من المسرفين فى ظلم أنفسهم وظلم الآخرين. ولقد اختار رب العالمين بنى إسرائيل لذلك البلاء المبين، وهو ـ سبحانه ـ على علم على العالمين. قال محمد الغزالى: [والمحزن أن الصلاح قصير الأجل فى حياة أغلب المتدينين. فسرعان ماتغلبهم أهواؤهم ويحيدون عن تراث أنبيائهم. يقول تعالى فى اليهود ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٢) وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُّبِينٌ ﴾.

فماذا فعلوا بعدما تحرّروا وملكوا؟

أظهروا فى الأرض الفساد فمزقهم القدر الساهر..

واختار القدر بعدهم العرب، وأورثهم القرآن العظيم، فساروا به أشواطًا، ثم تخلّوا عنه إلا قليلاً، فأدركهم العقاب العتيد المرصد لكلّ منحرف، فهم الآن شراذم يلغ فى دمها كلّ جبار!

إن الذين يُخلصون للوحى يرثون خير الدنيا والآخرة. ذلك هو وعد الله للمؤمنين الصالحين.

وأصحاب الحضارة الحديثة على قدر كبير من الذكاء، بيد أنهم لا يلتفتون للحياة الآخرة، ولا يخطر ببالهم أنهم ملاقو الله يومًا، وهم يشبهون أهل الجاهلية من عرب الجزيرة الذين كانوا يسخرون من الحياة بعد الموت، ويعدّونه حديث خرافة..].

* * *

﴿ إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ

﴿ ٣٩ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٤٢ ﴾

﴿ إِنْ هَؤُلَاءِ ﴾ المكذبين بالبعث يقولون ما نحن بمبعوثين بعد الموت، فإن كنت يا محمد ومن وراءك صادقين ﴿ فَأْتُوا بِآبَائِنَا ﴾ من قبورهم، ويرد الله عليهم ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ أهم خير أم قوم تبع الحميرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية، والأقوام الذين سبقوهم ﴿ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ أهلكهم الله لما تكبروا على رسلهم وجحدوا رسالاتهم وكذبوهم ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ خلق الله السماوات والأرض وما بينهما، وسخرها للإنسان، الذى خلقه ليقوم بحمل أمانة الخلافة، وبعد انتهاء أجل الإنسان، يبعث الله من فى القبور ليحاسبهم على عملهم، فيجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويعاقب الذين تكبروا وجحدوا آياته. قال محمد الغزالى: [والحق الذى خُلقت به السموات والأرض يظهر فى القوانين الدقيقة التى تحكم الذرة والمجرّة، والنملة والفيل، والسهول والغابات، والبر والبحر! وهناك علوم جادّة تبحث فى هذه الأرجاء كلها، وتعود بالعجائب الهاتفة بعظمة الخالق.. وكذلك يظهر هذا الحق فى حساب أخير يفصل بين المسلمين والمجرمين، والذاكرين والغافلين، وذوى الضمائر الحية والضمائر الميتة!] ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لأنهم فى غفلة منغمسون فى متاع الدنيا ﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ لن يفلت منه أحد ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا ﴾ لا تنفع ولاءات الدنيا وتحالفاتها ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ولا ناصر لهم يخلصهم من العذاب ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ﴾ إلاّ من يرحمه الله بالعفو عنه ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ ﴾ يعز من يشاء ويذل من يشاء ﴿ الرَّحِيمُ ﴾ الذى وسعت رحمته كلّ شىء.

***

﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ الْأَثِيمِ ٤٤ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ٤٥ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ٤٦ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ٤٨ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ٤٩ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ٥٠ ﴾

يأكل الآثمون فى جهنم من شجرة الزقوم، التى تخرج فى أصل الجحيم، كما جاء فى سورة الصافات الآية ٦٤؛ طعامًا كالمعدن المصهور يغلى فى بطونهم ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ ﴾ خذوه فجُروه بعنف وغلظة ﴿ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾ وسط جهنم ﴿ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ

﴿الْحَمِيمِ﴾ اسكبوا على رأسه الماء الشديد الحرارة ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ تذوق العذاب يا من كنت تعتبر نفسك عزيزاً فى قومك كريمًا فى حسبك ونسبك. قال الطبرى: [قال قتادة: قال أبو جهل: ما بين جبليها لا يوجد رجل أعز ولا أكرم منى، فقال الله عز وجل ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ(٥٠)﴾ هذا العذاب هو عاقبة ما كنتم تتشككون وتتخاصمون فيه، تكبراً وجحوداً.

* * *

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٥٧) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٨) فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ (٥٩)﴾

أما المتقون، فيتنعمون فى مقام أمين، فى جنات وعيون، يلبسون من ﴿سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ حرير رقيق وحرير سميك، مع أزواجهم من الحور العين ـ الذين قد يكونون أزواجهم فى الدنيا ـ يطلبون كلّ الفواكه، فتأتيهم وهم آمنون، خالدون فى جنات النعيم، فلا موت بعد موتتهم الأولى فى الدنيا ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ وحفظهم الله ونجاهم من عذاب النار ﴿فَضْلاً مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الذى لا يعلو عليه فوز آخر ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ بلسان عربى مبين حتى يفهمه العرب فيتذكروا الله ولماذا خلقهم؟ وماذا يريد منهم؟ وينقلوا رسالته للعالمين ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ﴾.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٤) وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٥) ﴾

﴿ حمٓ (١) ﴾ ارجع لشرح الحروف المُقَطَّعة فى أول سورة البقرة ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ ﴾ القرآن ﴿ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ ﴾ واهب العزة ومانعها ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ واهب الحكمة ومانعها ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ ﴾ لأدلة للمؤمنين على خالق واحد قدير رحيم ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ ﴾ وفى أطوار نموكم من طين، ثم من نطفة وبويضة إلى مضغة ثم عظام ثم تكسى باللحم، ثم يخرج خلقًا آخر ﴿ وَمَا يَبُثُّ ﴾ وما ينشر الله من الدواب وتوالدها ﴿ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أدلة لقوم يتدبرون فيوقنون بأن الله لم يخلق ذلك باطلاً، وأنكم مكلفون بعمل هيأكم الله له وأنكم إليه راجعون ﴿ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ وتتابعهما فى دورة يومية تنتظم بها الحياة اليومية، ويزيد أحدهما على حساب الآخر فى دورة سنوية تنتظم بها الحياة السنوية ﴿ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ ومن آفات الإنسان أنه يعتاد على الآيات، فلا يبصرها، ويعتاد على النعم

(*) إلا الآية ٨ فى قول المراغى فمدنية، وفى «الجلالين» إلا الآية ١٣ ، وفى «القرطبى» إلا الآية ١٤ـ ولكل واحد منهم حجته وأسبابه التى بنى عليها رأيه.

فيعتبرها حقّا مكفولاً، إلا الذين يعقلون. قال محمد الغزالى: [والهيمنة على قوانين الكون كما تنفع الإنسان فى الحياة الدنيا ماديّا، فهى تعينه على إعزاز عقائده والدفاع عنها، وما تأخر المسلمون وذلوا أمام أعدائهم إلاّ لتخلفهم فى هذا الميدان].

* * *

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٦) وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩) مِن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠) هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (١١)﴾

نتلو عليك يا محمد، وعلى الناس آيات من كون الله: كتابه المعُاش، فمن لم يؤمن، فبأىّ حديث بعد ذلك يؤمن؟ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ الإفك هو الكذب الكبير، والأفاك هو الذى يحترف ذلك ويداوم عليه ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الآثام، فهلاك له من الله ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ ثم يصر فى استكبار على جحودها، كأنه لم يسمعها ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وإذا علم بعضًا من آيات الله استهزأ بها، فله وأمثاله عذاب مذل، وتنتظرهم جهنم بعذابها العظيم، ولن ينفعهم ما كسبوه فى الدنيا ولا ما اتخذوه من أولياء، هذا القرآن هدى من الله فاعتبروا واحذروا من أمثال أولئك الذين كفروا بآيات ربهم، فلهم ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ والرجز هو أشد درجات العذاب.

* * *

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٣) قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٥)﴾

تكرر وتؤكد آيات القرآن أن الله سخر للناس ما فى السماوات والأرض، فهم ليسوا فى صراع مع أو ضد الطبيعة ليعيشوا، ولكنهم مع الطبيعة يتناغمون وينسجمون فى تسبيح الله وحمده ويسجدون شكرًا له، كلّ بطريقته حسب خلق الله له. فالله سخر البحر لتنتقلوا فيه

وتنقلوا تجاراتكم، وتأكلوا من أسماكه وتتزينوا بحليه، وذلك بخلقه قوانين الموائع والطفو والحركة وما إلى ذلك، وسخرلكم السماوات تحميكم من أعلاكم، وتمدكم بالطاقة الشمسية، وبالضوء نهارًا وليلاً، وما إلى ذلك ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ قل يا محمد للذين آمنوا أن يغفروا للذين آذوهم ممن ﴿ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ﴾ أيام الله هى التى يقيم فيها موازينه لحساب الناس بالحق، ثم يجازيهم عليها فى الحياة الآخرة، فقد فضلوا عليها أهواءهم ومتع الدنيا، وسيجزى الله كلّ فريق فى الآخرة وفق عملهم فى الدنيا ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾.

***

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٦) وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٧) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) ﴾

ولقد أنزلنا على بنى إسرائيل التوراة والزبور والإنجيل و ﴿ الْحُكْمَ ﴾ قيل الحكمة، وقيل الملك، آتاه الله أنبياءه: يوسف وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وأرسلنا إليهم الأنبياء، ورزقناهم من ﴿ الطَّيِّبَاتِ ﴾ طيبات الرزق فى الدنيا من مأكل ومشرب، ومنها المن والسلوى، وملبس ومقام ﴿ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ بإنزال الكتب عليهم وإرسال الأنبياء فيهم ﴿ وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ وآتيناهم أدلة من أمر الله فى الخلق، لماذا خلقهم؟ وماذا عليهم أن يفعلوا؟ ﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ فما وقع بينهم اختلاف إلاّ من بعد ماجاءهم العلم ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ ظلمًا بينهم لطلب حظوظ الدنيا العاجلة، ويحكم الله بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ ﴾ يا محمد ﴿ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ على طريقة ونهج من أمر الله ﴿ فَاتَّبِعْهَا ﴾ فالزم شريعة الله ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فمن أظلم ممن اتبع هواه، وهم لن ينفعوك فى شىء ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ إنا نوحى إليك ما يجعل الناس تبصر سبيل الحق، ويهدى ويرحم الذين يوقنون.

***

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٢) أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣)﴾

بل حسب الذين اتبعوا أهواءهم وعملوا السيئات أن لا فرق بينهم وبين الذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء فى حياتهم أو فى موتهم، ساء حكمهم، فقد خلق الله السماوات والأرض بالحق، وهو أن يحمل الإنسان أمانة الخلافة، فيقيم الحق بعبادة الله، ثم يُبعث الناس ليوم الحساب، يُقيم الله فيه العدل ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ يا محمد ويا من يسمع القرآن ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَـٰهَهُ هَوَاهُ﴾ من اتخذ من الأهواء آلهة يعبدها، كمن يعبد المال والجاه والسلطة والشهوات، وما إلى ذلك ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ أولئك الذين تكبروا وجحدوا الحق واستهزءوا به ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ﴾ فمن يُضلل الله فلا هادى له ﴿أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.

***

﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾

وقال الذين يحبون الدنيا، ولا يريدون لقاء الله، إننا نعيش مرة واحدة ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ أى الزمن؛ لذلك سموا بالدهريين! فهم لا يعلمون، ويتحدون ﴿ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيقول رب العالمين لرسوله الأمين قل لهم يا محمد ﴿اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ بعد أن كنتم عدمًا، ثم يميتكم ثانيًا كما كنتم، ثم يجمعكم ليوم الحساب لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

***

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) هَـٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم

بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (٣٠) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ (٣١) ﴾

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ فهو خالقهما وهو ربهما القائم على شئونهما ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴾ الذين اتبعوا الباطل وأرادوا أن يعلوا به فوق الحق ﴿ وَتَرَىٰ ﴾ يوم الحساب ﴿ كُلَّ أُمَّةٍ ﴾ كل أهل دين وعقيدة ﴿ جَاثِيَةً ﴾ باركة على الركب من هول ما ينتظرها، حين تدعى إلى سجل أعمالها ويقال لهم ﴿ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ بموازين الحق، وقد سجلنا أعمالكم بالحق ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ فلدينا نسخة صحيحة من أعمالكم ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ﴾ جزاء ما قدموا لأنفسهم في الدنيا ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ أما الذين كفروا فيذكرهم ربهم ﴿ أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ .

***

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٢) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٣) وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٣٤) ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٥) فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧) ﴾

﴿ وَإِذَا قِيلَ ﴾ للمكذبين ﴿ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾ غلبت عليكم أهواؤكم فأجبتم ﴿ مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾ فظهرت لهم سيئات أعمالهم، وأحاط ونزل بهم جزاء ﴿ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ من البعث والحساب ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ ﴾ في عذاب جهنم ﴿ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ ينقذونكم مما أنتم فيه من العذاب ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا ﴾ وسخرتم واستهزأتم بها ﴿ وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ بمتعها الزائلة ﴿ فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا ﴾

من النار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ولا يُطلب منهم الرجوع إلى ما يرضى الله بالتوبة والطاعة لأنها لا تنفع يومئذ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فقد أهّلت يارب العالمين النفوس بالفطر والمدارك، وأرسلت الأنبياء، وأنزلت الكتب، وأغدقت النعم، وأمهلت الظالمين طويلاً، ثم حكمت بين الخلق بالحق، فلك ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾ فلك العظمة والجلال وحدك فى السماوات والأرض وأنت ﴿الْعَزِيزُ﴾ واهب العزة ومانعها ﴿الْحَكِيمُ﴾ واهب الحكمة ومانعها.

***

opeikandl.com